جامعة المنصورة
كلية السياحة و الفنادق

حي الكوت بمدينة الهفوف شرق المملكة العربية السعودية في ضوء الصور الفوتوغرافية القديمة
دراسة توثيقية

إعداد

لطيفة بنت علي المغنّم

طالبة دكتوراه بجامعة الملك سعود، قسم الآثار

مجلة كلية السياحة والفنادق ـ جامعة المنصورة
عدد (١٦) ـ ديسمبر ٢٠٢٤

ملخّص:

تعد الصور الفوتوغرافية وثيقة مهمة لدراسة أشكال التراث العمراني للمجتمعات في ماضيها القريب. ويهدف البحث إلى تقديم وصفاً للتراث العمراني في حي الكوت بمدينة الهفوف شرقي المملكة العربية السعودية، في ضوء الصور الفوتوغرافية القديمة ضمن سياقه التاريخي. لفهم السلوك الإنساني داخل الحيز المعماري ولرصد التطور والتغير الذي طرأ على عمارة الحي. من خلال استخدم الصور الفوتوغرافية التي التقطتها عدسات المصورين الأوائل؛ بوصفها وثائق سجلّت الشكل المادي للتراث العمراني والبيئة الثقافية التي كان عليه حي الكوت في القرن العشرين الميلادي، قبل أن تطاله أعمال التحديث والهدم.

الكلمات المفتاحية: الكوت ، الدروازة، التحصينات، الفريج، السوك الإنساني.

Al-Kut neighborhood in Al-Hofuf city in eastern Saudi Arabia in light of old photographs

Latifah Ali Al-Moghanam

PhD student at King Saud University, Department of Archaeology

Abstract:

Photographs are an important document for studying the forms of urban heritage of societies in their recent past. The research aims to provide a description of the urban heritage in Al-Kut neighborhood in the city of Hofuf, eastern Saudi Arabia, in light of old photographs within its historical context. To understand human behavior within the architectural space and to monitor the development and change that occurred in the neighborhood's architecture. By using photographs taken by the lenses of early photographers; as documents that recorded the physical form of the urban heritage and the cultural environment that Al-Kut neighborhood was in in the twentieth century AD, before it was subjected to modernization and demolition works.

Keywords: Al-Kut, Al-Darwaza, Fortifications, Al-Farij, Human Market.

المقدمة

تكمن مشكلة البحث في ضياع الوسط الحضري لحي الكوت، وفقد بعض مبانيه أو تغير أشكالها؛ نتيجة أعمال الهدم أو التطوير وتحديث مباني الحي، وتوفر مجموعة صور فوتوغرافية لحي الكوت لم تدرس دراسة منهجية.[١] اتبع البحث المنهج التحليلي، من خلال رصد الوضع الراهن للتراث العمراني بحي الكوت ومقاربته بالصور الفوتوغرافية للكشف عن التحولات التي طرأت عليها، ومتابعة دراستها بمقاربتها بالمصادر والوثائق المحلية، وما ورد من وصف للمنطقة في كتابات الرحالة.

وحيُّ الكوت أثري قديم (آل ملا، ١٩٩١م: ص ٢٢٢) [٢]، أسَّسه حُكام الدولة الجبرية، واتَّخذوه مقراً لحكمهم، وقاموا بتحصينه لدوافع أمنية (العبد القادر،١٩٦٠م: ص٣١) . واتخذ الولاة من قبل الدولة العثمانية ، حي الكوت مقراً لحكم إيالة الأحساء، حيث شهد وبشكل مكثف بناء مساجد ومجمعات مدارس وأربطة. وبعد أن استعاد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، ملك آباءه في الأحساء؛ أصبح حي الكوت المقر الإداري للإمارة السعودية، وتزايد دور حي الكوت السياسي بعد أن اتَّخذه الملك عبدالعزيز مقراً لإقامته، وبنى له بيوتاً له فيه، وجدد قصر الإمارة

---

[١] أسهمت شركة أرامكو منذ بداياتها في القرن العشرين بتوفير صور فوتوغرافية مميزة، حيث استقطبت المختصين والخبراء، مع ما يمتلكونه من آلات التصوير المتطورة. كما ساهم نخبة من أهالي الأحساء بانشاء منصة الأحساء قديماً الاكترونية التي عنيت بجمع الصور القديمة.

[٢] الكوت: البناء المربَّع المحكم. يقع حي الكوت وسط مدينة الهفوف. يحدُّه من الجهه الشرقية والجنوبية الشرقية حيُّ الرفعة، ومن الجنوب حيُّ النعائل، ومن الشمال واحة السيفة.

(السراج). ويعد حي الكوت من أكبر أحياء مدينة الهفوف التاريخية، وكان يتكون من خمس حارات تتخلَّلها مجموعةٌ من الفرجان (الشعيبي، ١٤٣١هـ: ص٢٨).[٣] أشهرها: حارة السراج، وحارة المطاوعة، وحارة الرويضة، وحارة النجاجير.

أولاً: التحصينات الدفاعية، والبوابات ،والقصور في حي الكوت

وثقّت مجموعة الصور المختارة المعالم الرئيسة للتحصينات الدفاعية في حي الكوت، قبل إزالتها خلال مرحلة تطوير الحي في عام(١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)؛ حيث كانت المعالم المعمارية مكتملةً وفي صورتها الأصلية، كما وثقّت الصور السلوك الإنساني وأظهرت بعض الشخصيات المهمّة.

أ. أسوار حي الكوت وأبراجه وتحصيناته الدفاعية:

١. تحصينات الركن الجنوبي الشرقي لحي الكوت

[٣] الحارة جزء من الحي وتحوي ما بين ٢٥-٧٥ منزلاً.

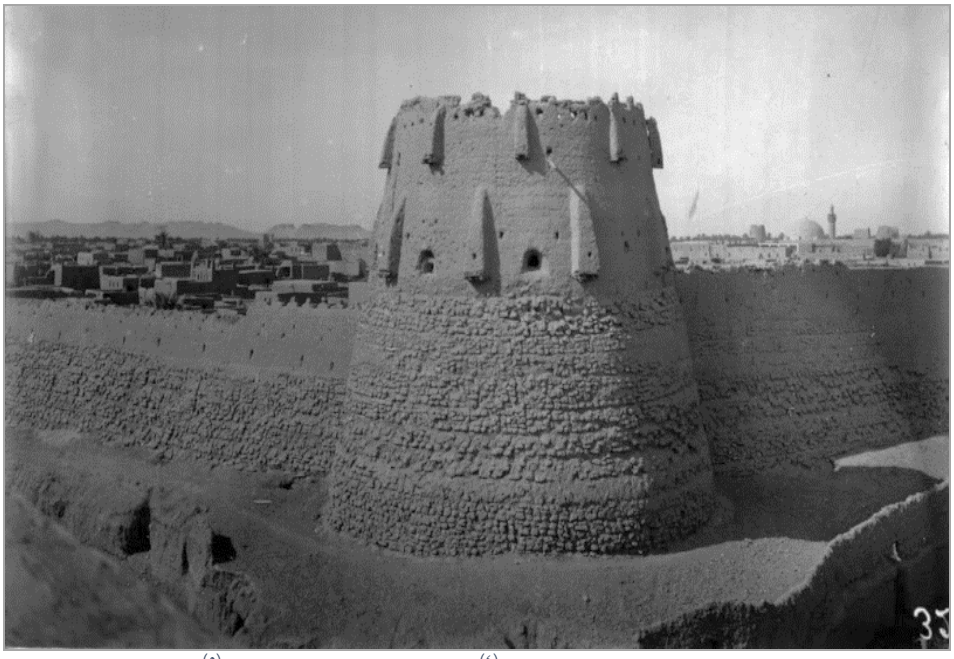

اللوحة ١ البرج الركني الجنوبي الشرقي لحي الكوت.[٤] (١٩٠٤م: هيرمان بورخارت).[٥]

الوصف :صورة أرضية غير ملوّنة، يظهر في مقدمة الصورة برج دفاعي ضخم مخروطي الشكل، يشغل الركن الشمالي الشرقي لوح سور حي الكوت، كما ظهر أمام السور خندق عميق، لزيادة التحصينات الدفاعية. وفي الخلف بأقصى يمين الصورة تّطل قبة ومئذنة مسجد علي بن لاوند البريكي، المعروف بمسجد القبة. كما ظهر عن يسار الصورة مساكن حي النجاجير.

تكمن أهمية الصورة في أنها أعطت منظراً بانورامياً واسعاً لحي الكوت في بداية القرن العشرين، كما وثقّت الصورة تفاصيل دقيقة للبرج الركني لحي الكوت بما

---

[١] المصدر: smb.museum) (٩٧٣×١٣٤١) jpg٢٥٠٠.x١٤٨٢٧١٣_٢٥٠٠

[٢] مستكشف ومصور ألماني، إشتهر بصوره النادرة لمشاهد من شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن العشرين.(بورخارت ،٢٠١٣م: ص ١٠٧).

يحتويه من طرمات وفتحات للمراقبة والدفاع؛ مما عزز فهمنا لصورة التحصينات الدفاعية الواردة في وثيقة قديمة مؤرخة سنة(٩٨٠هـ/ ١٥٧٥م)، ذكرت وجود جامع كبير، وخندق حول سور الكوت. (الجعفري، ٢٠٢٤م: ص ٣-٤).

كما تتيح هذه الصورة إمكانية مقاربة الشكل المعماري الذي كانت عليه التحصينات الدفاعية لمدينة الأحساء التاريخية، خلال القرن الخامس الهجري، وهي مدينة محصنة هدمت وأزيلت بالكامل ولا صلة لها بحي الكوت، وصفها ناصر خسرو بقوله: "الأحساء مدينةٌ وسوادٌ أيضاً؛ بها قلعةٌ يحيط بها أربعة أسوار قوية، ووسط القلعة مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة". (خسرو،١٩٩٣م: ص١٥٩) كما توحي الصورة شعوراً بالأمان؛ فالحي محروس ومحمي خلف أسوار متينة وأبراج منيعة، وهوما عبرت عنه الوثائق التاريخية؛ بوصفها للحي أنه: قلعة الكوت (الجعفري، ٢٠١٠م: ص١٥٢) والكوت المحروس، ومسّورة الكوت (الجعفري، ٢٠١٨م: ص ١٠٣- ١٤٧).

اللوحة ٢ سوق الغنم أو سوق البدو. (١٩٤٧م: ايلو باتيجيلي).[٦]

الوصف: صور أرضية غير ملونة تظهر البرج الركني الجنوبي الشرقي لسور الكوت، ومشهد الحركة في سوق الماشية وازدحام الأشخاص، حيث يتجول الناس من مختلف الأعمار في أرجاء السوق مع وجود العنصر النسائي بشكل فعّال، ربما يعود ذلك لوجود النساء من أهل البادية يبعن منتجاتهن الصوفية وغيرها. تعبيرات وجوه الأشخاص في الصورة توحي بحرارة الجو.

[٦] إيلو باتيجيللي. عمل مع فريق ايطالي لشركة ارامكو للنفط عام ١٩٤٦م. المصدر: متحف بيت ريفرز Pitt Rivers Museum.

تكمن أهمية الصورة في إظهار تفاصيل معمارية مميزة لسور الكوت، وضخامة برجه الذي يحتوي على فتحات الطرمات التي تستخدم لرمي العدو بالأسلحة النارية، بالإضافة لدورها في المراقبة. سجَّل بالجريف وجود أسوارٍ ضخمةٍ مدعمّةٍ بأبراجٍ تحيط بالقلعة، ووصفها بأنها قوية وعالية ومحاطة بخندقٍ عميقٍ. وأكَّد على وجود فتحاتِ نافذةٍ في أعلى الأبراج تُستخدم لإطلاق النار(بلجريف،٢٠٠١: ص ١٧٣). وعن يمين الصورة باكة سور القيصرية الممتدة على طول شارع السوق؛ الأمر الذي أظهر توازن التوزيع المعماري، الذي تميز به شارع السوق.

كما وثّقت جانباً من الطقوس في شارع السوق، خاصة منطقة بيع الأغنام، حيث يجلس أحد البائعين مع أغنامه بعد عناء الوقوف لفترات طويلة، وقد وضع العباءة على رأسه لتقيه من أشعة الشمس الحارقة، ولم يشغله عمله من التطلف للعنزة الصغيرة والمسح على رأسها.

توحي الصورة بمشاعر الصبر، وتكبد المشاق التي يعانيها الأهالي والباعة على حد سواء من جراء قساوة الجو والازدحام، في سبيل قضاء حاجاتهم، وتوفير لقمة عيشهم.

٢. تحصينات السور الشرقي لحي الكوت.

اللوحة٣ عمارة الأرض أو أرض العمارة.[٧] (١٩٢٤م: أرنولد هايم)[٨].

الوصف: المشهد التصويري يُظهر لوح السور الشرقي لحي الكوت وفي أقصى طرفه برج الركن الشمالي الشرقي للسور، ويظهر الارتفاع الشاهق للسور، والذي يصل نحو ١٥ متراً. كما ظهرت تفاصيل الشرفات الدفاعية التي توجت القسم العلوي للسور، وظهر على طول امتداد السور آثار خندق متهدم دفن أجزاء كبيرة منه. وظهر على يمين الصورة المنطقة المركزية المجاورة للحي، حيث بدت أجزاء من مبنى سوق القيصرية، والمفتوح على شارع رئيس يتمتع بالاتساع.

وتكمن أهمية الصورة في أنها وثَّقت تشابه العمارة والأرض، وإحساس بتناغم الأرض والعمارة، حيث تتشابه مادة الأرض مع مادة البناء في اللون والملمس، حيث تبدو

[٢] المصدر: E-Pics Image Archive, ETH Library

[٣] أرنولد هايم. جيولوجي سويسري ومستكشف. زار شبه الجزيرة العربية عام ١٩٢٤. https://doi.org/١٠.٣٩٢٩/٠٠٠٦٤٦٧٥٨

المباني وكأنها تنبت من أعماق الأرض، تعبيراً عن العمارة الفطرية، وأصالة عمارة حي الكوت وجذورها القوية، فهي عمارة فطرية، نمت وتشكلت الأرض، يألفها الإنسان؛ وهو ما عبرت عنها الآية في قوله تعالى: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا".(سورة هود:٦١).

اللوحة ٤ ضخامة السور الشرقي المقابل للسوق، ١٩١٧م، المصور: لورانس[٩]، على اليسار ١٩٢٤م،المصور: تشيزمان[١٠].

[٢] المصدر: Staatliche Museen zu Berlin IMPERIAL WAR MUSEUMS

الوصف: صور أرضية غير ملونة اللتقطت من أعلى أسوار حي الكوت. تُظهر الصور المنظر البانورامي لسوق القيصرية. تكمن أهمية الصورة في توثيق دور الأبراج في المراقبة، وإظهار مساحة بصرية كبيرة ممتدة أفقياً. كما توثّق الصورة التصميم القديم لسوق القيصرية ذو الأعمدة العثمانية. والخندق الجاف الذي يحيط بسور الكوت. الصورة عل اليسار تظهر الملك عبد العزيز عند زيارتة للهفوف وهو برفقة الأمير محمد بن جلوي

توحي الصورة بضخامة ارتفاع أبراج وسور الكوت، حيث تظهر الصورة صغر المقياس الإنساني مقارنة بارتفاع السور. وصف فيلبي سوق الخميس بقولة:" سوق الخميس عبارة عن شارع مرتب واسع يصل عرضه إلى ٥٠ ياردة، والسور من اليمين يحف به من أوله إلى آخرة الخندق وسور الكوت الذي يمكن الدخول إليه من هذا الجانب عن طريق بوابة محصنّة تحصيناً جيداً بحواجز حديدية مشبكة في البوابة"(فيلبي.، ٢٠٠٩م: ص٦٠) .

(٣) المصدر: Pitt Rivers Museum

٣. تحصينات السور الجنوبي لحي الكوت

اللوحة ٥ أسوار وأبراج قصر إبراهيم.(١٩٠٤م: هيرمان بورخارت)[١١].

الوصف: صورة أرضية غير ملوّنة، يظهر عن اليمين سور حي الكوت الجنوبي، المحاذي لبستان الشعيبي مقر مدرسة الهفوف الأولى، ويليه بستان العمير المسمى بأم الخبيصي. وعلى يسار الصورة تظهر مساكن من حي النعاثل الذي يقع جنوب حي الكوت.

تكمن أهمية الصورة في أنها وثقت وجود بساتين ملاصقة لسور حي الكوت في تلك الفترة، وهذا يتوافق مع وصف ناصر خسرو بأن لمدينة الأحساء التاريخية، موارد

[٤] المصدر: Positive, SW (smb.museum)

وافية من المياه وأن البساتين تقع ضمن الأسوار. (خسرو،١٩٩٣م: ص١٥٠) كما يلاحظ أن البساتين الملاصقة لسور الكوت كانت مسورة هي الأخرى، لضرورة حماية الممتلكات.

توحي الصورة بشعور المنطقة الريفية التي تتداخل فيها العمارة والمساحات الزراعية. ويعّزز المشهد الريفي جمع الصورة بين الأهالي والمناطق الزراعية والدواب من الجمال والحمير.

ذكر فيدال بأن مساكن حي الكوت كانت تنحرف في إتجاه القبلة، وأن هذا الإنحراف يبدو أكثر وضوحًا في الجزء الأسفل حيث مساكن العامة من سكان الهفوف. بينما تعتدل زاوية المساكن في حي النعاثل؛ الأمر الذي خّلف فجوة متسعة بين سور الكوت الجنوبي وحيّ النعاثل (شارع السويق) وهو مكان البساتين في الصورة. كما تحّدث حافظ وهبة في كتابة " جزيرة العرب في القرن العشرين" في سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، عن مدينة الهفوف، وذكر أنه" في الجهة الشرقية يقع السور وحوانيت التجارة، ويفصل الكوت عن النعاثل من جهة الجنوب غابّة من النخيل"(وهبة،١٩٥٦م: ص٧٠).

٤. تحصينات السور الشمالي

اللوحة ٦ تحصينات السور الشمالي إلى اليسار(١٩١٧م: لورانس). في الوسط (١٩٤٥م: ثيسيغر). وعلى اليسار (١٩٤٥م: ايلو باتيجيلي).[١٢]

الوصف: صور أرضية غير ملوّنة التقطت من حافة الخندق الجاف. قال بلجريف: "ويحيط بالسور خندقٌ خارجيٌّ يظلُّ فارغاً معظم الوقت، لكن يمكن أن يُملأ بالماء إذا دعت الضرورة من آبار المياه الموجودة في البساتين ". (بلجريف،٢٠٠١: ص ١٧٠) تُظهر مشهداً تصويرياً خارجياً لحي الكوت من جهة الشمال حيث دروازة الفتح، توثّق الصورة على اليسار الجسر العابر فوق الخندق الجاف الذي يصل الدروازة بالخارج. كما وثقت الصورة عن اليمين عمق حفرة الخندق الدفاعي الجاف الذي طوّق السور؛ الأمر الذي أعطى للحي مزيداً من الحصانة.

[١٢] ويلفريد باتريك ثيسيغر، رحالة بريطاني. سافر إلى الجزيرة العربية ألف كتاب "الرمال العربية. (فيسي،.١٩٩٦م: ص ٢٢- ٩٨). المصدر: Pitt Rivers Museum | ، الكولونيل توماس إدوارد لورنس، عالم آثار، وضابط بريطاني، اشتهر بمساعدة القوات العربية. (فيسي،.١٩٩٦م: ص ١٥).

تؤكد الصور أن الممارسات والطقوس في عند السور الشمالي تخلف تماماً عنها عند السور الشرقي، وترى الباحثة أن السبب يعود للوظيفة دروازة الفتح فهي أكثر خصوصية وتميل إلى الوظيفة الأمنية نظراً لقربها من قصر الحكم لذلك مرتاديها أقل، بينما دروازة العليمي فهي دروازة داخلية تستخدم من قبل عامة الشعب أو مرتادي السوق من الخارج الذين تم مسحهم أمنياً بعد عبورهم أحد دراويز الهفوف الأخرى. توحي الصور بإبداعات العمارة التحصينية ونجاحها، فبالرغم من قوتها وضخامتها؛ جاءت متناغمة مع البيئة المحيطة حيث تلوّنت بلون ومادة الأرض.

٥. تحصينات السور الغربي

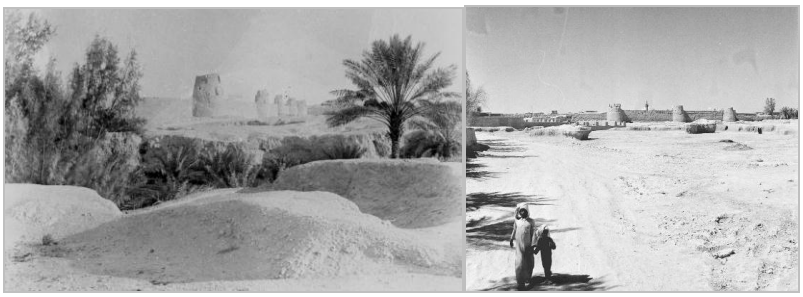

اللوحة ٧ تحصينات السور الغربي عن اليمين (١٩١٧م: لورانس) عن اليسار (١٩٤٧م: ايلو باتيجيلي)[١٣]

الوصف: صورة أرضية غير ملوّنة، تُظهر مشهداً تصويرياً خارجياً لتحصينات حي الكوت من جهة الغربية التي تشرف على الصحراء والمزارع، حيث لا توجد بوابات بينما تكثر في السور الأبراج الدفاعية التي تتموضع بمسافات متفاوتة. وترى الباحثة ان كثرة الأبراج في السور الغربي يعود للحاجة لمزيد من المراقبة والحماية من خطر

[١٣] المصدر: IMPERIAL WAR MUSEUMS Pitt Rivers Museum

هجمات القبائل القادمة من الصحراء والإشراف على المزارع القريبة. تؤكد الصورة خلو المنطقة من الإمتداد العمراني.

توحي الصورة بالإحساس بالصحراء، كما توحي ببهجة وفرحة الواحة الغناء التي تضج بالحياة في وسط الصحراء. فقد كانت الهفوف مدينة تهفو وتأنس لها النفوس. فقد ذكر الجاسر أن موضع الهفوف سمي بذلك لطيب هوائه، وتحُّركه في منطقة يركد الهواء فيما حولها، كما ذكر آل عبدالقادر أن الهفوف سميت بذلك لتهافت الناس عليها ورغبتهم في سكناها(آل عبدالقادر،١٩٨٢م: ص٣١).

ب. بوابات حي الكوت

١. دروازة العليمي

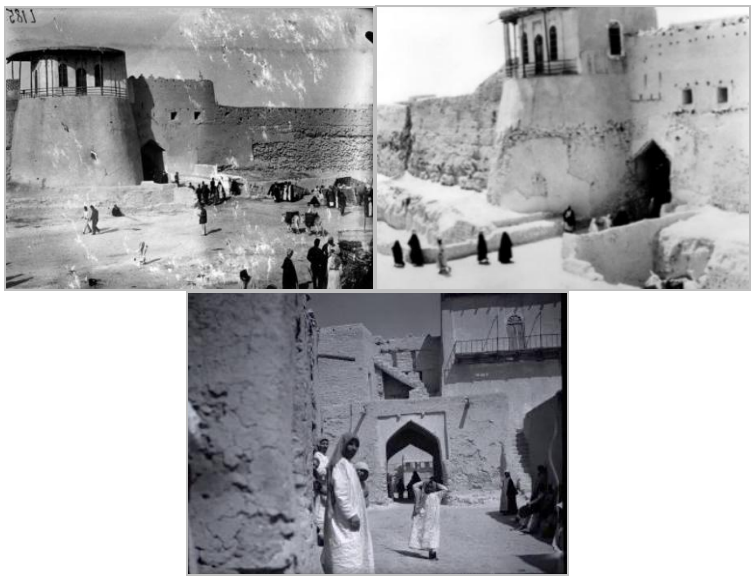

اللوحة ٨ الشارع والحياة المعاشة خارج وداخل أسوار حي الكوت دروازة العليمي . .(١٩٠٤م: هيرمان بورخارت).(١٩٣٥م: ماونتن، جوزيف د)[١٤]

الوصف: صور أرضية غير ملونّة، لدروازة العليمي من الخارج ومن الداخل، تجسّد الحركة اليومية، وتوثّق الصورة على اليمين ضخامة أسوار وأبراج حي الكوت، كما توثّق وجود الخندق الجاف الذي كان يحيط بقلعة الكوت؛ حيث يتم الدخول للدروازة عبر جسر توجد على جانبيه دكات للجلوس. وفي أعلى الدروازة يقع مكتب الاتصالات والبريد، يحتوي البرج على شرفة تأخذ شكل البرج نصف الدائري، وتحتوي

(١) المصدر: National Air and Space Museum Archives. Slideshow_ref٢٥_part٢

أقاسي خشبية، وباباً خشبياً على جانبيه نافذتان خشبيتان مستطيلتان معقودتان بعقد نصف دائري.

تُظهر الصورة على اليسار الجانب الداخلي لدروازة العليمي، حيث تفاصيل معمارية مختلفة عن تلك التي في الجزء الخارجي، ويمكن ملاحظة وجود الدكة على جانب السكة، و ممر الدروازة المسقوف ذي النهايتين المعقودتين بعقد مخروطي، يحيط بالعقد تجويف جداري مستطيل مليَّس بالجص، أستخدم لتميز وإبراز العقد، يقع على يسار الداخل الدرج المؤدي لسطح الدروازة حيث مكتب البريد والاتصال، الذي يحتوي أقاسي وباب الخشبي.

توحي الصورة ببساطة الناس، وتقبلهم للمصور الغريب. كما توحي بضخامة الحاجز المادي القوي والمتين الذي تمثله دروازة العليمي، مما يعطي إحساساً أن ما في الداخل أكثر أماناً وجمالاً.

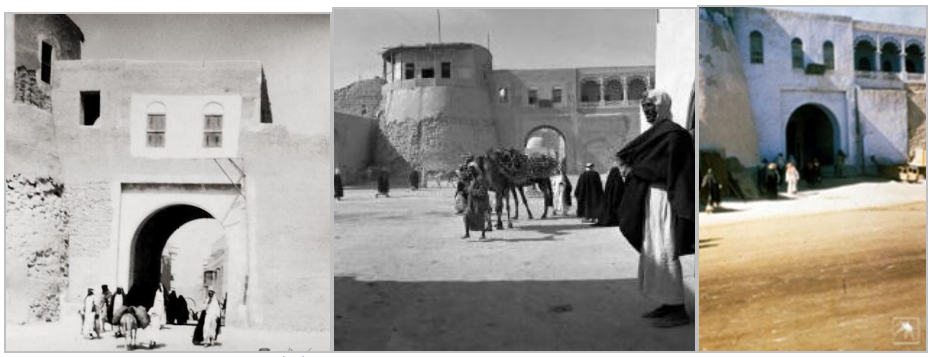

اللوحة ٩ دروازة العليمي من الخارج.(١٩٤٢م، ١٩٥٠م: غير معروف).[١٥]

[٢] المصدر: أرشيف شركة أرامكو.

الوصف: الصور أرضية، تُظهر مشهداً تصويرياً خارجياً لدروازة العليمي بعد إزالة الخندق وجسر المدخل، وإجراء بعض التعديلات، حيث تم تغيير شكل الفتحة المعقودة إلى الشكل نصف الدائري بدل الشكل المخروطي، وفي أعلى الدروازة عن اليمين فُتِحت شرفة معقودة بثلاثة عقود نصف دائرية ازدانت بزخرفة قوسية لوحدة ثلاثية البتلات التي تميزت بها عمارة الأحساء التقليدية المحلية. والصورة في اليسار هي لنفس المنطقة بعد مرور٨ سنوات، حيث تم تليس وطلاء الدروازة باللون الأبيض.

تؤكد الصورة على تميز المنطقة بالنظافة بالرغم من كثرة مرتاديها، فقد تمتع الأهالي بهذا السلوك الثقافي، فاعتادوا الاعتناء بنظافة وجمال مدينتهم الّتي مثّلتْ موطنَهم الّذي عاشوا فيه، وتعلّموا على أرضِهِ تقاليدَ المجتمعِ وقيمَه وعاداتِهِ؛ حتّى أصبَحتْ مثالاً للمدينة الملائمة للعيش الإنساني.

توحي الصورة بشاعرية المكان، فالشخص في يمين الصورة يقف وقفة تأمل، وكأنه يأخذ قسطاً من الراحة من ممارساتِه اليوميّة، يستأنس بحركة وأصوات المارة، وقد ساعدت هذه العلاقة العاطفية بين الأشخاص والفراغ العمراني على أنسنة المكان والإحساس بهِ.

٢. دروازة الفتح

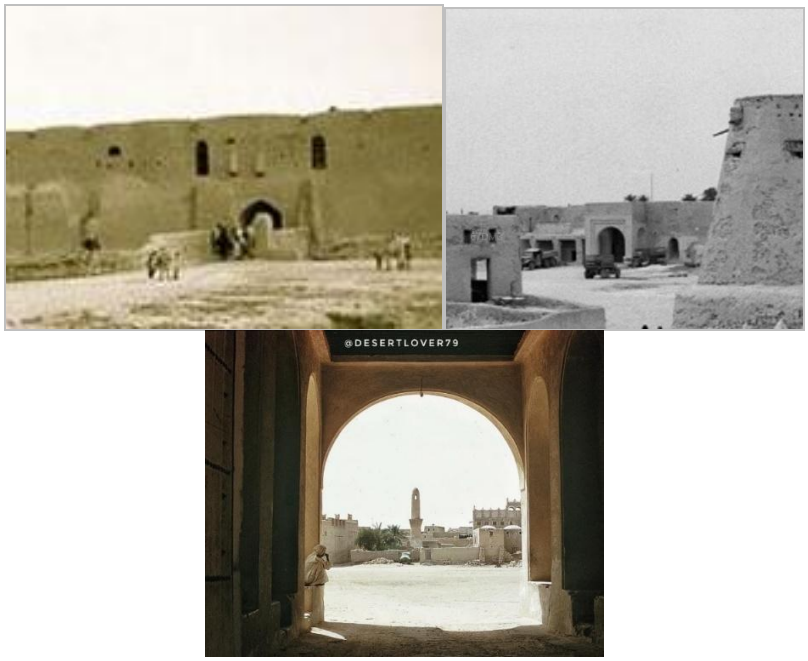

اللوحة ١٠ " ماوراء دروازة الفتح"(١٩١٧م: لورانس)،(-١٩٤٧م: ايلو باتيجيلي) ،(١٩٥٠م ،المصور غير معروف)

الوصف: صور غير ملوّنة. تظهر مظاهر التغير التي طرأت على دروازة الفتح. حيث توثّق الصورة عن اليمين دروازة الفتح المعقودة بعقد مخروطي. أما الصورتان على اليسار وثّقتا تغير شكل عقد عقدها إلى الشكل النصف الدائري في منتصف القرن العشرين. وصف تشيزمان أقواس قصر السلطان السراي بقوله: " وهذا نمطٌ جديدٌ للعقود المدورة، مزودٌ بحجر عقد، سيشكل هنا نمطاً معمارياً يرتبط بحكم السلطان الحالي عبدالعزيز". ولعّل تشيزمان بذلك يقدم تفسيراً لسبب تحول شكل عقود الدروازات من الشكل المخروطي للشكل النصف دائري.

(تشيزمان،١٩٩٩ م: ص٩٩). كما وثّقت الصور ضخامة حجمها بالنسبة للمقياس الإنساني؛ الأمر الذي يعطي المزيد من الإحساس بالدهشة عندما يُقْتَرب منه.

أطرت دروازة الخيل رؤية حي الكوت فظهر كلوحة داخل لوحة، أوعمارة داخل عمارة، كما توحي الصورة بعنصر المفاجأة بسبب التباين الضوئي الذي تبثُّه السوابيط من جراء انبعاث الضوء في نهاية الممر المظلم، الذي يشجّع لعبوره فالإنسان بطبيعته يتبع الضوء، كما أن جمال منظر مسجد الفتح الدبس يوحي بوجود ما هو أكثر جمالاً خلف هذه الدروازة. وما زاد المنظر جمالاً وانشراحاً رحابة براحة الخيل التي تستقبل الداخل.

ج. القصور في حي الكوت

١. قصر إبراهيم.

اللوحة ١١ واجهة قصر إبراهيم من اليمين ،(١٩٠٤م: هيرمان بورخارت)[١٦]. (١٩٧٤م - ١٩٧٨م:أرامكو)[١٧]

الوصف: عن اليمين صورة أرضية غير ملونة للواجهة قصر إبراهيم الجنوبية في الربع الأول من القرن العشرين وتتقدم القصر مجموعة من خيول الحامية التركية. الصور الملونة تظهر مبنى القصر قبل الترميم، وتوثّق تهالك مادة بناء السور من الحجر والطين، في حين تظهر قبة المسجد أكثر تماسكاً نظراً لاستخدام الجصّ في تليسها.

[١٦] المصدر: Positive, SW (smb.museum)

[١٧] المصدر: أرشيف شركة أرامكو.Al-Hofuf Saudi Arabia ١٩٧٨ (aramcoexpats.com)

تكمن أهمية الصور في توثيق الواجهة الخارجية لقصر إبراهيم قبل ترميمه بفترة قصيرة، كما تؤكد الصورة أن قصر إبراهيم من أكثر العناصر المعمارية التراثية وضوحاً في عدسات المصورين، ووصف بكونه عمارة مميزة لم يكن لها مثيل في المناطق المجاورة. وهذه الصور بلا شك من الوثائق المصورة التي ساعدت في تقويم حالة القصر، وتدارُكه قبل ترميمه. ذكر فيدال في قصر إبراهيم: "وينظر إليه معماريا كمميزات مستوردة، إذ لم يسبق لأحد أن رأى شبيهاً له في هذا الجزء من شبه جزيرة العرب". (فيدال، ف. ش. ١٩٩٠م: ص١١٤).

توحي الصورة بالأحداث والأمجاد والقصص التاريخية التي مر بها قصر إبراهيم، وتستعيدها صورة القصر، وتعرضها بصرياً، في حوار صامت بين الناس والمبنى. كما توحي الصورة بعوائد الزمن التي ظهرت على القصر نتيجة عبور الزمن والانحلال، فالمباني المبنية من مادة الأرض، ستعود حتماً إليها ذات يوم.

٢. قصر العبيد.

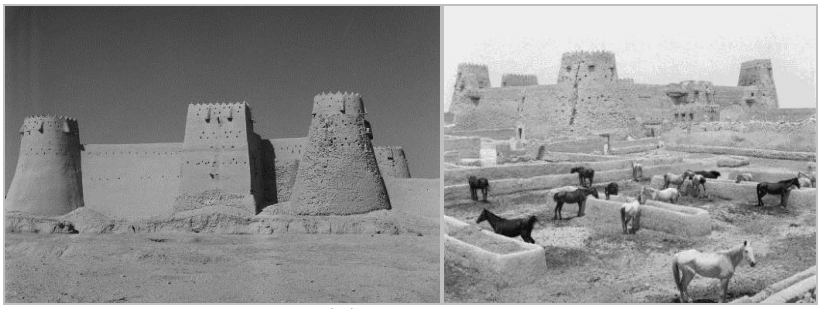

اللوحة ١٢ قصر العبيد. التاريخ: ١٩٤٥م، المصور: ثيسيغر.[١٨]

الوصف: صورة أرضية باللونين الأبيض والأسود، المشهد التصويري يظهر تفاصيل أحد واجهات قصر العبيد بابراجه الركنية المخروطية والبرج الأوسط المستطيل وزيت الأبراج الشرفات المسننة، ويمكن ملاحظة كثرة الفتحات الدفاعية والطرمات. أما الصورة على اليسار تظهر تفاصيل قصر العبيد من الداخل حيث الأسطبل المخصص للخيول الخاصة بقصر إبراهيم.

وتؤكد الصور أن قصر العبيد يعد قلعة داخل قلعة وقد ألحق بالتحصينات الدفاعية لمدينة الهفوف لزيادة التحصين حيث كان في فتراته التاريخية منفصل قبل بناء سور الهفوف. وقد مثل بعد ضمه للتحصينات خط دفاعي إضافي فهو يشرف على ثلاث واجهات شمالية وشرقية وغربية.

وصف فيدال منطقة براحة الخيل بقولة: "وهي ميدان كبير، وارض مخيم سابق تقع جنوب بوابة الخيل مباشرة، وقد استخدم جزء منها في الماضي إسطبلاً لخيل الأمير

[١٨] Pitt Rivers Museum Wilfred Biogra | Britannica

السابق عبدالله بن جلوي، ويقع قصر العبيد ملاصقاً للبراحة في الزاوية الشمالية الغربية، ومسجد الجبري في نهاية الجهة الجنوبية للبراحة، أما قصر إبراهيم فإنه في الجانب الشرقي للبراحة".

٣. قصر السراج.

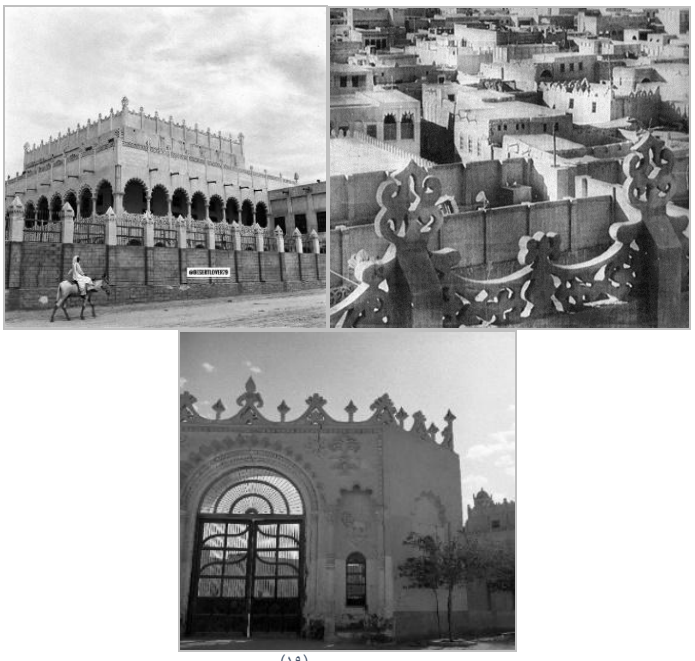

اللوحة ١٣ واجهة قصر السراج، (١٩٤٩م: ايلو باتيجيلي).[١٩]

الوصف: صور أرضية غير ملونة، تُظهر الواجهة الخارجية لقصر السراج، الذي يعد من أجمل إبداعات العمارة المحلية، المتأثرة بالعمارة الهندية، من جراء التبادل التجاري. فالجزء الذي يظهر في الصورة هو الجزء الحديث الذي تمت إضافته بعد حكم ابن جلوي. وهو مليئ بالزخارف الجصيّة التي نفِّذت محلياً.

[١٩] المصدر أرشيف أرامكو.

تكمن أهمية الصور كونها وثائق مصورة لأحد رموز التراث العمراني في المنطقة الشرقية، حيث تظهر تفاصيل العناصر المعمارية لقصر السراج، والذي لم يعد موجوداً في الوقت الراهن، وهي تفاصيل مهمة قد تساعد في إعادة بناء القصر بنفس طرازه المحلي المتأثر بشكل ملحوظ بالطراز الهندي. يحتوي قصر السراج على الجزء العثماني الذي هو الجزء الأصلي ذو الأفنية الداخلية، بينما الجزء الذي يظهر بالصورة والأكثر بروزاً هو الذي بني في عصر ابن جلوي. وهو متأثر بالعمارة الهندية. قال ماكي:"السراي التركي القديم تم إعادة تزيينه وتغيره تمامًا ليكون مقر إقامة السلطان خلال زيارته للأحساء، بينما المدرسة التركية القريبة له تحولت لمسكن ضيوف". (٢٠)

توحي الصورة بإحساس الفخامة، وسحر العمارة التراثية بما تحملها من الرموز الثقافية التي تعكس تفرُّد حضارة مدينة الهفوف، كما توحي الصور بقوة وهيمنة السلطة، حيث نزعت خصوصية السكان البسطاء الذين كانوا غالباً ما يتخذون الأسطح مكاناً يمارسون فيه الكثير من الأنشطة الشخصية. كما توحي الصور بالتلاحم واشتراك الأهالي ليس فقط في المباني البسيطة محدودة الإتفاع، بل في مواجهة مصاعب الحياة.

(٢٠) (Mackie, ١٩٢٤: ٢٠٧ .pp)

د.تناغم البيئة الطبيعية و التحصينات الدفاعية

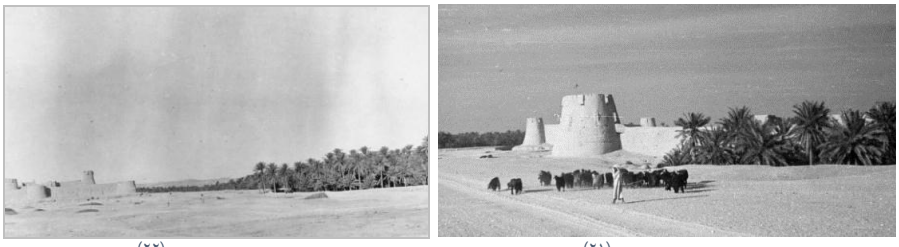

اللوحة ١٤ السيفة وقلعة الكوت.[٢١] (١٩١٧م: الرحالة لورانس). (١٩٤٥م: ثيسيغر).[٢٢]

الوصف: صور أرضية غير ملونة، تُظهر الصورة عن اليمين كثافة أشجار النخيل في واحة السيفة شمال قلعة الكوت. المشهد التصويري في الصورة على اليسار يظهر الواجهة الخارجية الشمالية الغربية لمدينة الهفوف، حيث برج قصر العبيد في أقصى الشمال في الجهة المقابلة لواحة السيفة، بيمنا يظهر برج سور حي الكوت الركني الشمالي الغربي.

تكمن أهمية الصور في أنها أعطت منظراً بانورامياً واسعاً، أظهر تفاصيل المحيط الخارجي للمدينة الهفوف المسّورة. حيث تناقض بيئة الهفوف التي جمعت بين حياة الواحة وقساوة الصحراء. فالإحساس بالصحراء حاضر في الصو، ويؤكد على ذلك وجود راعي الأغنام الذي يتطلع (للكاميرا) بنظرة خاطفة مليئة بالاستغراب، كما تبدو آثار عجلات السيارات واضحة على الأرض، حيث لا شوراع مرصوفة. تتوارى المدينة خلف أشجار النخيل وكأنها تختبئ من قساوة الصحراء لتستظل بظلال هذه الشجرة

[٢١] المصدر: Imperial War Museums (iwm.org.uk)

[٢٢] Wilfred Biography & Facts | Britannica | Pitt Rivers Museum (ox.ac.uk)

المباركة التي كانت -ومازالت- جزءاً لا يتجزأ من هذه الأرض، وتبرز أبراج وأسوار المدينة لثبت حصانة المدينة.

وقد أورد فيلبي وصفاً دقيقاً لهذا التنافض عندما أشرفت قافلته على الهفوف بقوله:" كنا نرى أمامنا واحة الأحساء بخلفيتها الكريهة التي تتكون من صحراء شاسعة مترامية، الأمر الذي حثنا على إسراع الخطى إن أردنا الوصول قبل حلول الليل".(فيلبي،٢٠٠٩: ص٥٠) . في حين أن بلجريف وجد في هذا التناقض جمالاً ميز مدينة الهفوف، فشبه الشكل العام لمدينة الهفوف بعقيقة يمانية جمعت اللونين الأبيض والأصفر، موضوعة في إطار من الزمرد الأخضر" (بلجريف،٢٠٠١: ص١٧٨)

وَصَف الرحالة تشيزمان حي الكوت من الخارج بقوله: "كان منظراً طبيعياً من البياض؛ لأن لون حجر المنازل الرملي الجيري مثل لون المنطقة المحيطة به مع خلفية خضراء داكنة من النخيل" (تشيزمان. ١٩٩٩م: ص٩٩). فالأرض والعمارة تشتركان في اللون والرائحة والملمس في علاقة امتزجت فيها مادة البناء ومادة الأرض.

ثانيًا: المساجد في حي الكوت

وثقّت الدراسة من خلال الصور التغير الذي طرأ على عمارة المساجد في حيِّ الكوت. كما أكدت الصور أن المسجد شكل الرمز ديني الأبرز في عمارة حي الكوت .

أ. مسجد علي بن لاوند البريكي" مسجد القبّة "

اللوحة ١٥ مسجد علي لاوند ١٩١٧م: فيلبي [٢٣]

الوصف: اليمين صور أرضية غير ملونة، تظهر التفاصيل الخارجية المميزه لمسجد علي بن لاوند بقبته النصف الدائرية الضخمة ومئذنته الأسطوانية. كما أظهرت الصورة شخصيات من رجال الدولة في ذلك الوقت وهم خليل أفندي[٢٤]وسليمان الحريقي ومراسلان على الجانب الأيمن، وتظهر في الخلفية تفاصيل مسجد القبة الخارجية.

وقد وصف فيلبي قبة مسجد علي بن لاوند بقوله: "نصل إلى حافة فضاء فسيح تبدو في نهايته القبة البيضاء العظيمة..." ؛ ويقول أيضا: "لم يسمح لي بأخذ قياسات أو أطوال القبة، وكان علي أن أكتفي بأخذ صورة فوتوغرافية للقائد ونائبه الأول أمام بياضها الباهر الممتد".[٢٥] فبياض القبة يوحي بالصفاء ونور الإيمان. كما أبرز اللون الأبيض وميّز مسجد القبّة.

---

[٢٣] المصدر: Imperial War Museums (iwm.org.uk)

[٢٤] سكرتير الأمير عبدالله بن جلوي. قلب الجزيرة العربية - الجزء الأول.pdf) org.archive(ص٥٨.

[٢٥] قلب الجزيرة العربية - الجزء الأول.pdf) org.archive(ص٥٩-٧٧.

ب. مسجد الفاتح الدبس

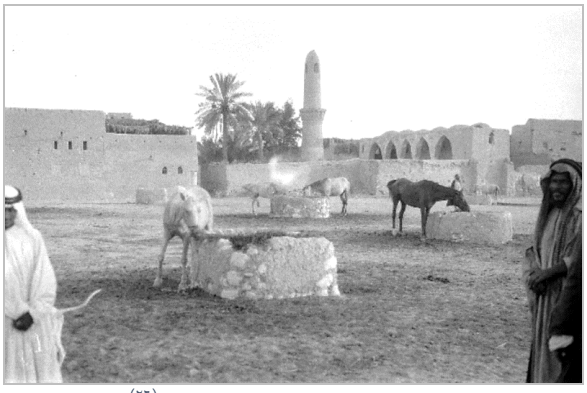

اللوحة ١٦ "براحة الخيل ومسجد الفاتح " تناغم الطبيعة والعمارة..[٢٦] (١٩٢٤م: أرنولد هايم).

الوصف: صورة أرضية غير ملونة، تُظهر الصورة تفاصيل براحة الخيل غرب قصر إبراهيم. والطقوس والممارسات التي كانت تدور في هذه البراحة، فهي أشبه بلوحة فنية متعددة الجوانب تجمع بين جمال

العمارة والطبيعة، حيث مجموعة من الخيول تشرب وتأكل من الأحواض المبنية التي خصصت لذلك، وفي خلفية الصورة يُطل مسجد الدبس بمئذنته الأسطوانية الشاهقة، وبائكته المميزة التي تحتوي على خمس أقواس مدببة محمولة على أربعة أعمدة، ويزيد المشهد التصويري جمالاً بستانُ النخيل الملحق بالمسجد، والذي يحتوي عدداً من أشجار النخيل متفاوتة الأحجام والارتفاعات. توثّق الصورة البناء التقليدي بالمادة الطينية والحجرية المستمدة من البيئة المحلية، كما تتجانس كتلة

[٢٦] المصدر: E-Pics Image Archive, ETH Library (ethz.ch)

مسجد الفاتح الدبس، وكتل المباني على جانبيه،[٢٧] وتُطلُّ جميعها على البراحة. قد تكون هذه المباني هي التي أشارت إليها وثيقة مسجد الفاتح المؤرخة بعام (٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م) أن المسجد بناه والي الأحساء محمد باشا الملقب بالفاتح في زمن السلطان سليمان أبن السلطان سليم(لذلك أطلق على المسجد الفاتح نسبة إليه)، ذكرت الوثيقة أن موقع المسجد بالقرب من سوق الهفوف والقلعة من الناحية الجنوبية، وهذه دلاله على تسمية مسجد الفاتح بمسجد الدبس لقربة من دكاكين بيع دبس التمر الموجدود بسوق الهفوف المذكور في الوثيقة، والذي كان يحتوي على عدد مائة وعشرة من الدكاكين الموقوفة على مسجد الفاتح ومدرسة المعلم الملحقة به. (المدرّع ،٢٠١٨م: ص٢٩٤- ٥٨٠).

يمكن ملاحظة وجود رجلين عن يمين الصورة ويسارها، يرتديان الزي الرسمي أحدهما يرتدي الثوب والبشت والغترة باللون الأبيض، والآخر يرتدي الزي بالأوان المعتادة، وقد يكونان من رجال القصر وحاشيته. إن جمال الصورة يجعلنا نتصور أنها من الأحلام والأساطير التي كانت تروى، فهي مثال حقيقي لنجاح العمارة، وتجانسها مع البيئة المحيطة.

٢٧(

تكمن أهمية الصورة في أنها وثَّقت التفاصيل المميزة لمسجد الفاتح كالعقود والمئذنة، والتي لم تعد موجودة في الوقت الراهن، وهي تفاصيل مهمة قد تساعد في إعادة تأهيل المسجد بنفس الطراز القديم.

ج. جامع الجبري

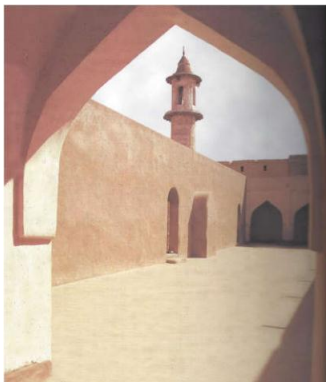

اللوحة ١٧ جامع الجبري[٢٨]

الوصف: صورة أرضية لمسجد الجبري قبل ترميمه، تظهر الصورة جزء من الصحن المكشوف ومئذنة الجامع الشاهقة في مشهد تصويري يطوقة أحد العقود المدببة من باكة الرواق المطل على الصحن.

توثّق الصورة البناء التقليدي للجامع بالمادة الطينية المستمدة من البيئة المحلية، التي تتجانس مع مباني حي الكوت، كما توثق الصورة المئذنة بتصميمها الأصلي الذي تم المحافظة عليه حتى بعد الترميم. وجامع الجبري يعد الشاهد المعماري الابرز على

[٢٨] (المدرّع ،٢٠١٨م: ص ٥٨٠).

الهوية المعمارية الدينية المحلية في حي الكوت، بما يحتويه من سمات محلية واخرى خارجية نتيجة للمزج المميز بين العمارة المحلية والعمارة الهندية والإسلامية المجاورة.

توحي الصورة بشعور السكينة والهدوء والراحة المرتبطة بالممارسات الدينية والصلاة، والنابعة من بإبداعات العمارة المحلية التي لا تقدم مهما طال الزمان.

د. مدرسة القبة

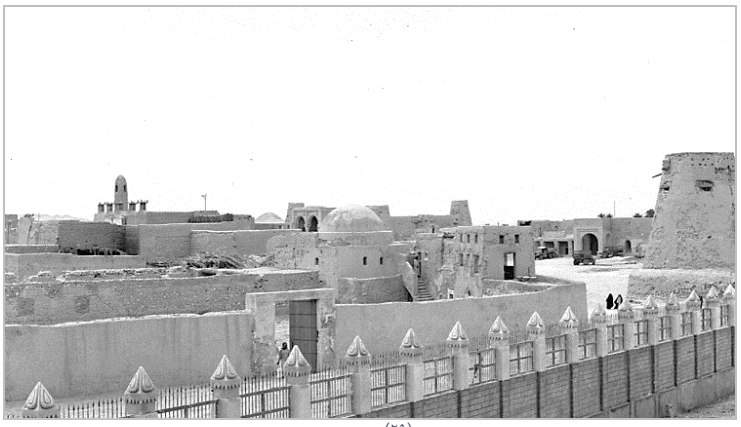

اللوحة ١٨ مدرسة القبة(١٩٤٩م: ايلو باتيجيلي).[٢٩]

الوصف: صورة أرضية غير ملونة من شرفة قصر السراج تظهر المنطقة المركزية في شمال حي الكوت حيث البرج الجنوبي الغربي لقصر إبراهيم وبراحة ودروازة الخيل و في أقصى الصورة تطل مئذنة مسجد الدبس، بينما تتوسط الصورة قبة مدرسة القبة التي بناها علي باشا عام مابين ١٠١٨- ١٠٤٤ هـ

[٢٩] المصدر أرشيف أرامكو.

تكمن أهمية الصورة أنها وثقت المباني ذات الطراز العثمانية ذات الطابع التقليدي المحلي. وتخطيط المدرسة الأصلي عبارة عن قاعة تدريس مربعة مغطاة بقبة نصف دائرية.

توحي الصورة بالحي المكتمل المرافق فهناك المسجد والقصر والمساحات العامة المدارس، لم تكن العلاقة بين المباني علاقة جامدة، بل كانت علاقة حركية يحكمها السلوك الإنساني داخل الحي.

ثالثاً: المساكن والشارع والحياة المعاشة في حي الكوت:

وثق البحث من خلال الصور نمط المساكن في حي الكوت التي جاءت بسيطة في عمارتها محدودة الأدوار، كما وثقت الصور أنماط الشوارع ومصادر المياه وكذلك السلوك الإنساني للأهالي وبعض الشخصيات .

أ. مساكن حي الكوت

اللوحة ١٩ أُفق حي الكوت. [٣٠] ١٩١٧م، المصوّر: الرحالة لورانس.

الوصف: صورة أرضية غير ملونة، المشهد التصويري بمثابة الشاهد التاريخي المرئي لجمال العمارة التقليدية الممتدة أفقياً كامتداد طبيعة أرضها الصحراوية.

تكمن أهمية الصورة في أنها أعطت منظراً بانورامياً واسعاً، أظهر الكثير من مميزات النسيج العمراني في حي الكوت كالتضام الشديد، والتفاوت البسيط في ارتفاعات المباني، وتؤكد الصورة على الحضور الروحي البصري للمسجد المتمثل في منارة وقبة مسجد القبة، فهو العنصر الأبرز في خط سماء حي الكوت، في رمزية دينية تشبه النداء للصلاةِ بصوتٍ عالي الوتيرة.

كما يظهر في الصورة التناغم بين الفراغات المفتوحة للسماء وكتل المباني المتراصة الذي أحدث تناسقاً بين الضوء والظل؛ فارتخاء وانضغاط الكتل العمرانية أسهم في تشكيل تباين جميل.

[٣٠] المصدر: T E LAWRENCE AND THE ARAB REVOLT | Imperial War Museums (iwm.org.uk)

توحي الصورة بأسرار كامنة، يخفيها صمت الفضاء العمراني في حي الكوت، حيث الممارسات والتجارب والأخلاقيات الدينية، والعادات والتقاليد، وحقوق الجار، ومركزية المسجد، كما يوحي تداخل المساكن بتقارب الأهالي وترابطهم القوي؛ فهي صورة تلامس الوجدان والأحاسيس.

ب. سكيك حي الكوت

أ. السكيك العامة

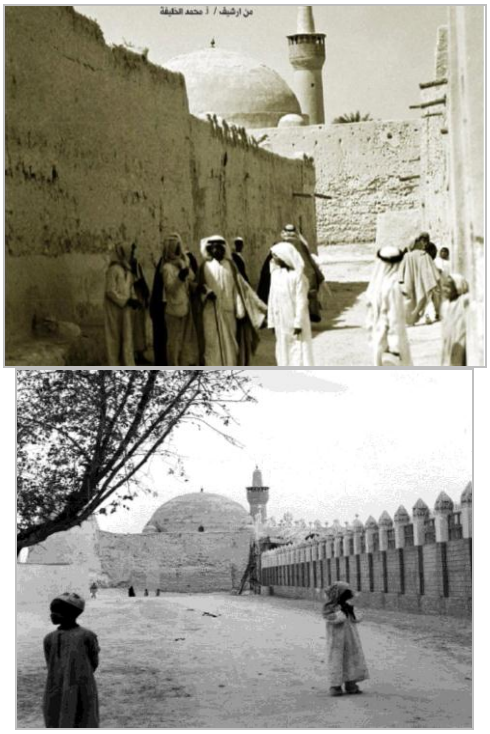

اللوحة ٢٠ سكيك الكوت العامة" (١٩٣٥م: ماونتن، جوزيف د). (١٩٤٩م: ايلو باتيجيلي).[٣١]

[٣١] جوزيف ماونتن، طيار ومصورا جوي لشركة أرامكو في السعودية.. المصدر: Slideshow | _ref٢٥_part٢ (si.edu)

الوصف: صور أرضية غير ملونة، تُظهر تفاصيل السكيك العامة في حي الكوت. القريبة من قصر إبراهيم. يلاحظ في الصورة عن اليمين وجود الدكة على الجانب من السكة كانت تستخدم لجلوس الرجال وكبار السن؛ الأمر الذي يعطي انطباعاً أن هذه السكة كانت تستخدم للرجال فقط، حيث تخلو الصورة من العنصر النسائي. أما الصورتين على اليسار تظهر التغير الذي طرأ على الشارع من توسعة وترصيف وزراعة الأشجار.

توحي الصورة بتنوع الطقوس التي تدور في السكة العامة القريبة من المسجد، ومركز المدينة، حيث قصر الحكم، فهي سكة تعج بالحياة والألفة والحركة، يلتقي فيها الجيران والأقارب يتبادلون الحديث، ويأخذون قسطاً من الراحة على دكاتها، وتحت ظلال جنباتها. كما توحي الصورتين عن اليسار بتناقص عدد مرتادي السكة مع التطور الحضاري وإنشاء الشوارع.

ب. السكيك الخاصة

اللوحة ٢١ "سكيك الكوت الخاصة"، الشارع والحياة المعيشة.(١٩٣٥ م: ماونتن، جوزيف د). "الكوت عام ١٩٧٨ م:جاك موظف أرامكو" [٣٢]

الوصف: صور أرضية غير ملونة، تُظهر تفاصيل السكيك الخاصة والعامة في حي الكوت. الصورة عن اليمين لأحد السكيك الخاصة حيث المساكن الطينية ذات الارتفاعات البسيطة التي لا تتجاوز الطابقين. تكمن أهمية الصورة في أنها وثَّقت نمط النوافذ (الدرايش) الأحسائية التي يعلوها قمرية نصف دائرية من الزجاج، كذلك يلاحظ كثرة المرازيم الخشبية؛ الأمر الذي يؤكد أهميتها لحماية المباني الطينية التي تتأثر كثيراً بمياه الأمطار رغم ندرتها. كما وثقت الصورة نمط آخر من النوافذ، وهو الرواشين الخشبية (الأقاسي) التي توفر مزيداً من الخصوصية.

[٣٢] المصدر: Slideshow | NASM.١٩٩١٠٠٧٩_ref٢٥_part٢ (si.edu)

توحي الصورة بمحدودية الطقوس التي تمارس في السكة الخاصة الضيقة الممتدة بين المساكن التي تتميز بالسكينة والطمأنينة والهدوء بالرغم من حركة بعض الناس المستمرة التي تضفي نوعاً من الحياة للشارع.

الصورة على اليسار لأخد سكيك الكوت في الماضي القريب، حيث ظهرت معالم التغير واضحة ليس فقط في دخول التكنولوجيا من السيارات وإضاءة الشوارع وأجهزة تكيف المنازل، بل حتى في السلوك الإنساني من خروج النساء بكثرة في السكيك الخاصة وتغير أزياءالأطفال.

كما أبرزت الصور جانباً مهماً تميزت به سكيك الكوت قديماً وحديثاً وهو نظافتها، قد يكون هذا الجانب يعود للنواحي الدينية النابعة من مبدأ إماطة الأذى عن الطريق، أو قد يكون نابعاً من حب الأهالي لأرضهم والحفاظ عليها.

ج. مصادر المياة

١. عين البحيرية

اللوحة ٢٢ "عين البحيرية". ١٩٣٥م، المصّور: ماونتن، جوزيف د.[٣٣]

الوصف: صور أرضية غير ملونة تظهر أجزء من عين البحيرية التي تقع شمال حي الكوت. تدور أحداث الصور حول مجموعة من الأولاد يستمتعون بالسباحة، في حين يجلس أحد الرجال على الممر الصخري الذي شكلته تضاريس المكان الطبيعية. وفي الجانب الآخر من العين مجموعة من الحمير تُسْقى وتُغْسَل من المياه العذبة. توثّق

[٣٣] المصدر: Slideshow | NASM.١٩٩١٠٠٧٩_ref٢٥_part٢ (si.edu)

الصورة موقع عين البحيرية وسط مزارع النخيل، حيث تظهر الأسوار الطينية التي تفصل عين البحيرية عن المزارع وعن الجزء المخصص بالنساء.

وصفها فيلبي بقولة:" وهذه البحيرة جانب من جوانب الجمال في تلك المنطقة يقصدها الجنسان للاستحمام من مائها، والجنس اللطيف يقصد بحكم العرف والتقاليد الطرف البعيد من البحيرة حيث يوجد البوص المرتفع، وتوفر بيارة النخيل نوعاً من الخصوصية".(فيلبي. ٢٠٠٩: ، ص ٧٠)

تكمن أهمية الصورة في توثيق التضاريس الطبيعية لعين البحيرية التي قسّمت المكان فيزيائياً إلى أجزاء، فتكونت مناطق تشبه الجسور سهلّت التنقل والعبور بين أجزاء العين.

تجّسد الصورة الحياة التي منحتها عين البحيرية للمكان، حيث تتداخل أصوات مستخدمي العين مع أصوات المارة والمزارعين في البساتين القريبة؛ الأمر الذي أعطى شعوراً محبباً.

٢. عين أم خريسان

اللوحة ٢٣ " عين أم خريسان"(١٩٤٩م: ايلو باتيجيلي).[٣٤]

الوصف: صور أرضية غير ملونة تظهر جزء من عين أم خريسان تحيط بها بساتين النخيل التي تعتمد عليها في السقاية، كما كانت أم خريسان تستخدم للغسيل والإستحمام، وذكر فيدال أن مياه أم خريسان دائماً متسخة فقد كانت تستخدم لغسل أصباغ المنسوجات إعتقاداً من الأهالي أن مياهها تكشف الأصباغ المغشوشة. (فيدال،١٩٩٠: ، ص١٥٣) ووصف فيلبي عين أم خريسان بقوله:" ويعتقد الناس أن مياه هذه العين لها خواص كيميائية عجيبة لا تأثير لها على الأصباغ الطبيعية ولكنها

[٣٤] المصدر أرشيف أرامكو.

تؤثر تماماً على الأصباغ الصناعية وتتلفها، ويجري اختبار بشوت الأحساء المصنوعة محلياً بغمرها في مياه تلك العين، ثم الحكم عليها". (فيلبي، ٢٠٠٩: ص ٧٠)

د. السوق

اللوحة ٢٤ إزدحام السوق (١٩٣٤م: المصور غير معروف) في الأسفل يمين (١٩٠٤، بوخارت) ، (١٩٥٣م:غير معروف)[٣٥]

الوصف: صور أرضية لسوق القيصرية في فترات مختلفة من القرن العشرين، توثق الصورة في الأعلى كثافة الحركة في السوق، والتي أثرت النشاط الاجتماعي، والتجربة الإنسانية في حي الكوت، وجعلت من المكان مسرحاً للأحداث والمتعة. كما

[٣٥] المصدر: أرشيف شركة أرامكو.

وثّقت الصورة استخدام وسيلة النقل بالسيارات إلى جانب الدواب. الصورة في الأسفل لسوق القصيرية في مطلع القرن العشرين حيث التصميم القديم للسوق ذو الأعمدة العثمانية.

توحي الصورة بالمشاعر الإيجابية الناجمة عن السلوك الإنساني التعاوني في سوق الهفوف، ومشاركة العمل من أجل منفعة مشتركة أو متبادلة، على عكس العمل في المنافسة من أجل المنفعة الشخصية. ومثال ذلك استخدام العنصر الحيواني كالحمار والتكنولوجي كالسيارات الذي ساعد في قضاء حاجات التجار والأهالي من نقل البضائع والأشخاص بسرعة وسهولة، وفي الوقت نفسه تعتبر منفعة ومهنة يستفيد منها ملاك الحمير والسيارات، فالناس في السوق تجمعهم المصلحة نفسها.

توثق الصورة في الأسفل مبنىً صغيراً مقبوباً بقبة نصف كروية مفتوحة من الجهات الأربع بفتحات معقودة بعقود نصف دائرية، يستخدم لرجل الأمن الذي يراقب السوق.

توحي الصورة بالتسوق في أجواء يغمرها الإحساس بالأمان والراحة . وقد ويصف لويس بيلي الحركة في السوق بقوله: " لقد كان هناك مظهرا من البهجة والحركة في المكان لم يسبق لنا رؤيته في أي مكان آخر في المناطق السعودية"، ويقول أيضا: "الناس هنا يبدون مَرحين بطبيعتهم ومكرسين أنفسهم للتجارة والزراعة"(بيلي،١٩٩١: ص١٠٢).

هـ. الحاكم والأهالي

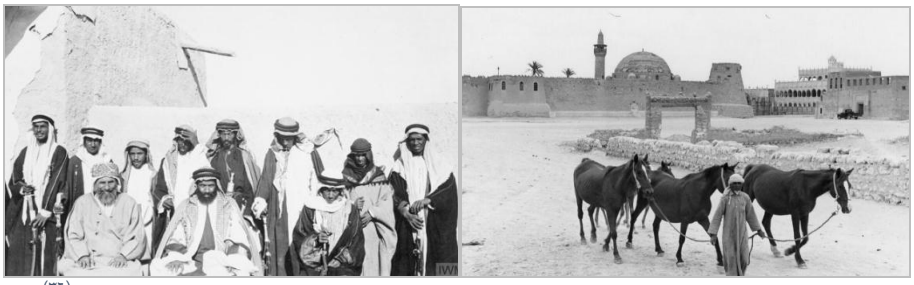

اللوحة ٢٥ الأمير عبدالله بن جلوي مع بعض رجاله.(١٩١٧م: لورانس). "(١٩٤٩م: ايلو باتيجيلي).[٣٦]

الوصف: اليمين صور أرضية غير ملونة، للأمير عبدالله بن جلوي عن يمينه محمد أفندي المالية، وعن يساره أبنه سعود. عن اليسار لبراحة الخيل حيث واجهة قصر إبراهيم وكانت تحتوي على دكة يجلس عليها الأمير عبدالله بن جلوي ليلتقي بعامة الناس.

توثق الصورة علاقة محمد أفندي بالأمير عبدالله بن جلوي، كما توثق الملابس والأزياء الرسمية للأمير وحاشيته. تتوافق الصورة مع ما أورده فيبلي من وصف بقوله: " وعندما وصلنا إلى بوابة السراى، إستقبلنا بعد أن نزلنا من فوق الإبل محمد أفندي، ثم رحب بنا من بعد ذلك بدقائق قليلة عند أعلى الدرج المؤدي لشقتنا عبدالله بن جلوي شخصياً أمير الأحساء". وقال: "وعبدالله بن جلوي متوسط العمر ومتوسط الطول أيضاً ليس بديناً ولا نحيفاً، لحيته كاملة سوداء قصيرة، ليس ضحوكاً، ويتكلم بطريقة رسمية، والأهالي يعدونه عظيماً من عظماء الجزيرة العربية"

[٣٦] المصدر أرشيف أرامكو.

كان نادارً ما يغادر جدران القلعة(الكوت)، كما كان يجلس في براحة الخيل التي وصفها فيدال بقولة "الحوش الواسع الذي يسمح للجميع بالدخول إليه يستمع لشكاوى المواطنين ويبت فيها" (فيلبي. ٢٠٠٩: ص٦٠)

رابعاً: النسيج العمراني

شهدت تلك الفترة الزمنية نشأة المملكة العربية السعودية عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، ومن ثم الاستفادة من عوائد البترول عام (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م). ومما يميز تلك الفترة وجود صور جوية مميزة اللتقطها شركة أرامكو.

أ. كثافة النسيج العمراني

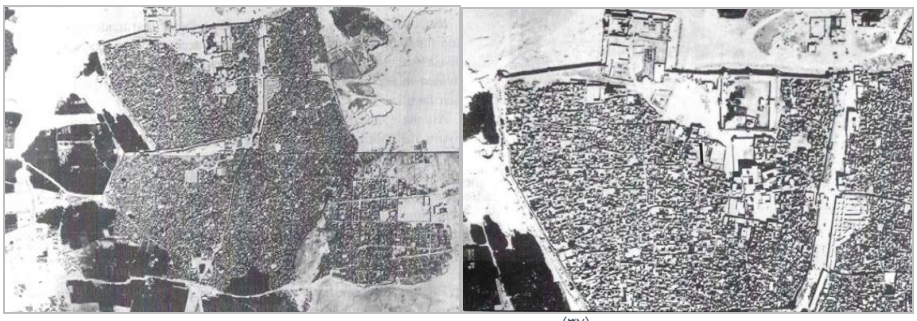

اللوحة ٢٦ حي الكوت في عام ١٩٣٥م.[٣٧]

الوصف: صورة أقمار صناعية غير ملونة لمدينة الهفوف وأحيائها الأربعة المحاطة بسور[٣٨] بستثناء حي الصالحية، ويظهر حي الكوت في اليسار، يمكن ملاحظة الكثافة

[٣٧] المصدر: أرشيف ارامكو، نقلاً عن أرشيف جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

[٣٨] أشارت الوثيقة المؤرخة بعام ١٨٩٩م، بطلب الأهالي بتوسعة سور الهفوف بسبب زيادة العمران في البلد.(صابان ،٢٠٠٩م: ص٢٠.)

العمرانية، فكانت الوحدات السكنية متلاصقةً ومتداخلةً ولا توجد حدود فيزيائية تفصل الحارات والفرجان. تقع المباني الحكومية في شمال حي الكوت، وهي: قصر إبراهيم، وقصر السراج، ومبنى خان، وبراحة الخيل، وقصر العبيد، قصر الأمير).

وسجَّل فيلبي وقال: "حي الكوت قلعةٌ مربعة، داخل مدينة محصّنة، بالإضافة إلى السراج لقصر الحكم، ومسكن الأمير الخاص، ومساكن الموظفين الحكوميين، وقلعة ومسجد إبراهيم العلي لاوند باشا، وهناك سجن، وعدة صفوف من المساكن والمتاجر، والكوت متكامل بذاته" (فيلبي،٢٠٠٩: ص٥٠).

ب. مظاهر الثبات والتغير

اللوحة ٢٧ حي الكوت عام ١٩٦٤م.[٣٩]

الوصف: صورة الأقمار الصناعية غير ملونة لحي الكوت. توثّق الصورة إزالة أسوار وبوابات حي الكوت وإحاطة الحي بالشوارع. كما استحداث منازل في الجزء الشمالي الغربي لحي الكوت.

[٣٩] المصدر: أرشيف جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

الصورة على اليمين جوية غير ملونة تُظهر مساكن حي الكوت، وقصر إبراهيم، وقصر السراج، وقصر العبيد. توثّق الصورة كثافة نخيل واحة السيفة في ذلك الوقت. تجمع الصورة بين الماضي والحاضر حيث بدأت تظهر على المكان ملامح ومتغيرات جديدة.

تكمن أهمية الصور في توثيق شكل حي الكوت بعد إزالة سوره، كما تؤكد الصورة على تناغم الطبيعة في واحة السيفة مع الأطلال والمباني التراثية المتبقية من جهة، وبين تناغم المناظر الحضرية للشوارع والمباني الحديثة المحاطة بآثار قديمة من جهة أخرى.

ج. مواكبة الحداثة

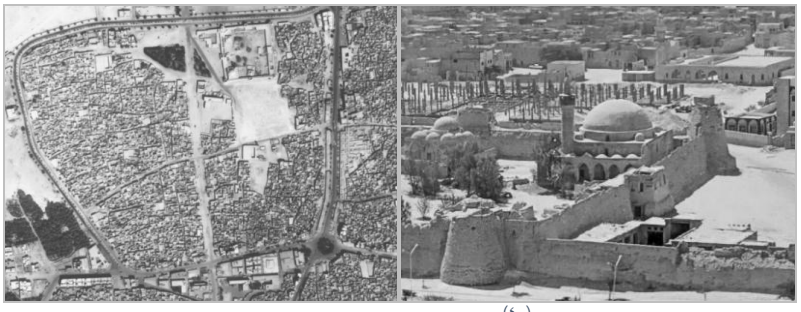

اللوحة ٢٨ حي الكوت في عام ١٩٧٢م.[٤٠]

الوصف: صورة الأقمار الصناعية غير ملونة لحي الكوت توثّق الصورة تغير معالم المدينة، وامتد التوسع العمراني حول منطقة البؤرة الأساسية المتمثلة بأحياء الهفوف القديمة. تراجع ملحوظ في الغطاء النباتي المحيط بالأحياء القديمة من جراء التوسع

[٤٠] المصدر: أرشيف جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

العمراني. كما توثق الصورة استحداث شارع الكوت الذي قسم الحي إلى جزأين: شرقي وغربي، ترتب عن شق شارع الكوت خسارة لعدد من المباني، ومنها إزالة جزء كبير من مسجد الدبس، وإزالة منارته. إزالة بيت الأمير، وقصر السراج. توسعة الطرق ومداخل ومخارج الحي لتسهيل دخول وخروج السيارات من وإلى داخل الحي.

د. التفكك والتخلخل

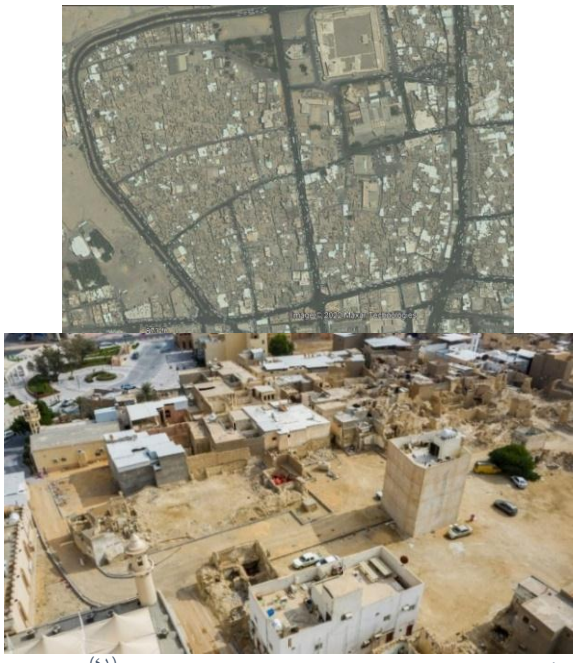

اللوحة ٢٩ صورة الأقمار الصناعية ملونة لحي الكوت في عام ٢٠١٣م.[٤١]

الوصف: صورة جوية حديثة للأقمار الصناعية ، تظهر حي الكوت بعد توسعة الطرق لتسهيل دخول وخروج السيارات من وإلى داخل الحي، كما يمكن ملاحظ التفكك والتخلخل في النسيج العمراني ، من جراء هجر الأهالي منازلهم.

[٤١] خرائط غوغل Google Map.

ويمكن ملاحظة إعادة بناء بعض المباني بأساليب البناء الحديثة المتعددة الأدوار، والاستفادة منها تجارياً؛ خاصة تلك المباني المطلة على الشوارع الرئيسية.

النتائج

١. تعّد الصورة القديمة للعمارة التراثية بذور إبداعية قد تساهم في إنشاء عمارة حديثة ذات جذور أصيلة.

٢. وثقّت الصور العديد من الجوانب المعمارية لعمارة حي الكوت مثل:

- توافق عمارة حي الكوت مع بيئة الواحة الصحراوية، وتشابه مادة الأرض ومادة البناء.
- تفاصيل معمارية لمباني لم تعد موجوده مثل قصر العَبِيد وقصر السراج، عقود ومئذنة مسجد الفاتح.
- نمط النوافذ الخارجية، والرواشين الخشبية (الأقاسي).
- ضخامة حجم الأسوار والأبراج والدراويز بالنسبة للمقياس الإنساني.
- الشكل المخروطي لدروازتي العليمي والخيل قبل تحولهما للشكل النصف الدائري.
- واجهات المساكن المحلات البسيطة، وواجهات سوق القيصرية عبر العصور.
- التضاريس الطبيعية لعين البحيرية والممرات الصخرية.

- حملت الصور معاني رمزية للعمارة والسلوك الإنساني مثل تقبل الغريب، حضور المرأة في السوق، تميز المنطقة بالنظافة، رمزية الامتداد الأفقي في المباني لصحراء، رمزية تشعب السكيك لمتاهية بساتين النخيل، ومحدودية الأدوار لحب القرب من الأرض.

التوصيات

١. الإستفادة من التفاصيل المعمارية لمباني لم تعد موجوده في الوقت الراهن.

٢. تطوير آليات ودراسات في مجال العمارة الشعورية، وتأسيس مركز بحوث غير ربحي للدراسات أثنوأركيولوجية يُعنى بالتراث الحضاري للهفوف وحي الكوت.

٣. تساعد الدراسة الأثنوغرافية للصور في استلهام الكثير من الأفلام والمسلسلات الوثائقية.

المراجع

١. آل ملا، عبد الرحمن عثمان.(١٩٩١م): تاريخ هجر، الأحساء، مطابع الجواد.

٢. الأمين، يوسف مختار(٢٠٠٨م): الإثنوأركيولوجيا الدراسة الآثارية للثقافة المادية المعاصرة، دار القوافل للنشر، الرياض.

٣. بلجريف، وليام،(٢٠٠١): وسط الجزيرة العربية وشرقها،(صبري محمد حسن، مترجم)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

٤. بورخارت هيرمن(٢٠١٣م)، رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط، (أبيش أحمد) مترجم، أبوظبي.

٥. تشيزمان. آر إي. (١٩٩٩م) :(في شبه الجزيرة العربية المجهولة.) عبدالله المطوع؛ محمد الفريح، مترجمان). الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

٦. الجاسر، حمد (١٩٧٩م): رحالة غربيون في بلادنا: عرض موجز لرحلات بعض الغربيين في قلب الجزيرة وشمالها. مطبوعات مجلة العرب. الرياض: دار اليمامة.

٧. الجعفري، أحمد عبداللطيف.(٢٠٢٤م): وثائق أحسائية من عام ٩٨٢-١٣٨٤هـ، الأحساء.

٨. الجعفري، أحمد عبداللطيف.(٢٠١٨م): وثائق أحسائية عام ٩٧١-١٣٥٢هـ، الرياض.

٩. الحسين، فهد بن علي.(٢٠١٣م): التراث الثقافي لمحافظة الأحساء في كتابات الرحالة الغربيين في ضوء أهميته سياحياً، مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة دنقلا، ع ٩.

١٠. الجعفري.(٢٠١٠م): جامع الجبري، الأحساء.

١١. خسرو، ناصر.(١٩٩٣م): سرفرنامة، (الخشاب يحيى، مترجم)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

١٢. الشعيبي، مساعد بن إبراهيم(١٤٣١هـ): نبع الذاكرة، رصد للحالة الاجتماعية والاقتصادية في الأحساء خلال الفترة ١٣٤٠-١٣٩٠هـ، الموافق ١٩٢٠-١٩٧٠م، مؤسسة المسار الاعلامي للإنتاج والتوزيع، الأحساء.

١٣. صابان سهيل،(٢٠٠٩م): من وثائق الأحساء في الأرشيف العثماني، جامعة الملك سعود، نادي الأحساء الأدبي.

١٤. العبد القادر، الأنصاري محمد (١٩٦٠م): تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الأحساء، مكتبة الأحساء.

١٥. فيسي، و.؛ غرانت، و. (١٩٩٦): المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين،(زاهر عثمان؛ لزي ماكوكلين، مترجمان) الرياض، تراث.

١٦. فيدال، ف. ش. (١٩٩٠): واحة الأحساء. (عبدالله ناصر السبيعي، مترجم). الرياض: جامعة الملك سعود.

١٧. فيلبي، ج. (٢٠٠٩): قلب الجزيرة العربية (ج١)، (صبري محمد حسن، مترجم). القاهرة، المركز القومي للترجمة.

١٨. بيلي. ل. (١٩٩١): رحلة إلى الرياض.(عبدالرحمن الشيخ؛ عويضة الجهني، مترجمان). الرياض: جامعة الملك سعود.

١٩. المدرّع، الجوهرة.(٢٠١٨): مسجد الجبري والفاتح بجي الكوت، رسالة ماجستير. الرياض جامعة الملك سعود.

المراجع الأجنبية

١. Mackie, J. B. (١٩٢٤). Hasa: An Arabian Oasis. The Geographical Journal.

المواقع الإلكترونية

١. (smb.museum)

٢. Saudi Aramco Web Gateway - Notification (google.com)

٣. Imperial War Museums (iwm.org.uk)

٤. قلب الجزيرة العربية - الجزء الأول (archive.org).pdf

٥. E-Pics Image Archive, ETH Library (ethz.ch)

٦. Slideshow | NASM.١٩٩١.٠٠٧٩_ref٢٥_part٢ (si.edu)